

من كتاب: تزييف الوعي البشري، وإنذارات الانقراض (21): بعض فكر يحيى الرخاوي (1)
الفطرة: بين التجريم والتشويه والتأثير (2) " وَكَلَّمَهُ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرَحًا! " (2 من 2)

نشرة "الإنسان" 2021/07/25

السنة الرابعة عشرة - العدد: 5076



yehiatrakhawy@hotmail.com

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

ملحوظة:

برجاء من سيقراً نشرة اليوم أن يبدأ بإعادة قراءة نشرة أمس

.....

كلما امتد النص ضاقت حركية الإبداع

سوف أكتفى هنا بمثال واضح من واقع مهنتي أدل به على ما يجري من ابتداع نصوص قانونية محكمة، لا تخدم في نهاية النهاية إلا تراكم المال الغبى عند قلة مغتربة، ذلك أنه يتم حرمان المرضى من حقهم في العلاج الممكن، وأيضا حرمان الأطباء من حركتهم الفنية الإبداعية لمساعدة مرضاهم ، وذلك بتوالى إصدار قوانين وقواعد ملزمة، على حساب سحب الثقة الأساسية بين المريض والطبيب، حدث هذا في الخارج تحت شعارات كثيرة من أول الاقتصار على حقوق الإنسان المكتوبة إلى ما يسمونه لوائح تنظيم المهنة لصالح المرضى، النتيجة أن زميلنا الطبيب هناك يشعر أنه "مدير آلة الطب"، وليس طبيا، وذلك بعد أن حرمه القانون من أى حركة "خارج النص" (ولو كانت لصالح مريضه بما فى ذلك إنقاذ حياته) يفعل الطبيب ذلك وهو يقوم بدوره مختنقا خوفا من أن يخرج عن المكتوب، فيرتكب جريمة تلزمه بالتعويض إن لم يكن بما هو أكبر. أصبح الطبيب هناك - كما سيحدث هنا - يمضى أكثر وقته فيما يسمى "أعمال الورق Paper work بدلا من أن يمضيه فى أعمال التطبيب وفن اللأم، وذلك ليحصى نفسه أولا، ثم إن الملاحظات العلمية والفنية المسجلة فى أوراق المرضى قد تضاءلت لأقل من 10%، بعد أن أصبح من حق المريض ومحاميه أن يحصلوا على الملف الأصلي للمريض فى أى وقت ولو بعد سنوات، فتراجع الأطباء عن تسجيل أية ملاحظات جادة، أو حتى علمية قد تفيد مستقبلا، واكتفوا بالملاحظات الشكلية الروتينية، خوفا من أن يتصيد محام شاطر ملاحظة غامضة هنا أو هناك تجرّم الطبيب بغير وجه حق!!

القانون غير المكتوب ملزم أكثر

من موقع شخصى، توقفت عن المشاركة فى الامتحانات بكل مستوياتها، من طلبة البكالوريوس حتى درجة الدكتوراة، ذلك لأننى مع وبعد كل امتحان، كنت أصاب بأرق وغم مزعجين، كنت أشعر أننى قاض فاشل، وأن الله سيحاكمنى على جريمة أنى أجاز طالبا لمجرد أنه أتقن الانحناء تحت سقف نصوص أنا أعرف لماذا تقرمت وكيف أحكمت، حتى التشخيصات الكلينيكية أصبحت محددة بقائمة من الأمراض والتفاصيل دون ربط ذلك بتتبعات العلاج واحتمالات استخدامه، كل هذا يُسَخَّر لخدمة أغراض تجارية وقانونية تأمينية وتعويضية على حساب المريض والعلاج والحقيقة.

أصبح الطبيب هناك - كما سيحدث هنا - يمضى أكثر وقته فيما يسمى "أعمال الورق Paper work بدلا من أن يمضيه فى أعمال التطبيب وفن اللأم، وذلك ليحصى نفسه أولا

إن الملاحظات العلمية والفنية المسجلة فى أوراق المرضى قد تضاءلت لأقل من 10%، بعد أن أصبح من حق المريض ومحاميه أن يحصلوا على الملف الأصلي للمريض فى أى وقت ولو بعد سنوات

تراجع الأطباء عن تسجيل أية ملاحظات جادة، أو حتى علمية قد تفيد مستقبلا، واكتفوا بالملاحظات الشكلية الروتينية، خوفا من أن يتصيد محام شاطر ملاحظة غامضة هنا أو هناك تجرّم الطبيب بغير وجه حق!!

من موقع شخصى، توقفت عن المشاركة فى الامتحانات بكل مستوياتها، من طلبة البكالوريوس حتى درجة الدكتوراة، ذلك لأننى مع وبعد كل امتحان، كنت أصاب بأرق وغم مزعجين

كنت أشعر أننى قاض فاشل، وأن الله سيحاكمنى على جريمة أنى أجاز طالبا لمجرد

أنه أتقن الانحياز تحدى سقفة
نصوص أنا أعرفه لماذا تقزمت
وكيفه أكمته

حتى التشخيصات الكلينية
أصبحت محددة بقائمة من
الأمراض والتفاصيل دون ربط
ذلك بتوقعات العلاج
واحتماالات استخدامه، كل هذا
يُسَجَّر لخدمة أغراض تجارية
وقانونية تأمينية وتوعوية
على حساب المريض والعلاج
والحقيقة.

أن هناك قانونا آخر، غير
المكتوب، لا بد أن يحاسبوا
أنفسهم به، وهو الذي سوف
يحاسبهم ربهم به، قانون حمل
المسؤولية ونفع الناس حقيقة
وفعلا

وما هو التوصيف الذي
سنقوله لربنا حين نلقاه ويسألنا
عن الوقت، والجهد، والمقابل،
والمنطق الذي تعاملنا به مع
المريض لصالح صحته؟

استطعنا أن نتبين معا كيف
أن تقديس نص "دليل علمي"
(هكذا اسمه بالضرورة)
موصى عليه سرا من شركات
الدواء، قد يكون في النهاية
- شعوريا أو لا شعوريا -
جريمة تخدم شركات الدواء
على حساب المرضى.

بالغث شركات الاستغلال أيضا
في زعم الإغلاء من قيمة
وتكاليف الأبحاث التي تقوم
بها لصالح مكاسبها وليس لصالح
المريض

إذا سمح لك القانون بحدود
معينة تتحرك داخلها وترضى
بها، أو تضطر إلى الالتزام
بمداها، فعليك أن تعرف أنها
ليست هي حماية الحدود التي
عليك أن تقف عندها، أمام
نفسك، وأمام ربك، الآن، أو

ليس معنى أنى اعتذرت عن عدم المشاركة في الامتحانات أننى توقفت عن التدريس على كل
المستويات، لكننى لجأت إلى وسيلة طريفة لأبين للدارسين على مختلف مستوياتهم أن هناك قانونا آخر،
غير المكتوب، لا بد أن يحاسبوا أنفسهم به، وهو الذى سوف يحاسبهم ربهم به، قانون حمل المسؤولية
ونفع الناس حقيقة وفعلا، قانوناً نطبقه ونحن نستعمل مقاييس ثقافية محلية محددة، وعلمية منطقية
مؤكده. أدت هذه الخبرة إلى أننا كنا ننتهى من عرض الحالة أثناء الدرس، لنتساءل: ما هو التشخيص
الذى ينبغى أن نقوله لنجح فى الامتحان، وما هو التوصيف الذى سنقوله لربنا حين نلقاه ويسألنا عن
الوقت، والجهد، والمقابل، والمنطق الذى تعاملنا به مع المريض لصالح صحته؟ بدت المسألة فى أول
الأمر أشبه بطرفة، لكن بالإصرار ومواصلة المحاولة والتصحيح، استطعنا أن نتبين معا كيف أن تقديس
نص "دليل علمي" (هكذا اسمه بالضرورة) موصى عليه سرا من شركات الدواء، قد يكون فى النهاية -
شعوريا أو لا شعوريا - جريمة تخدم شركات الدواء على حساب المرضى.

بالغث شركات الاستغلال أيضا فى زعم الإغلاء من قيمة وتكاليف الأبحاث التى تقوم بها لصالح
مكاسبها وليس لصالح المرضى، من أول الأبحاث التى تبلغ فى الأعراض الجانبية للأدوية التقليدية
الرخيصة، حتى الأبحاث التى تتبنى نظريات وفروضا كيميائية ميكانيكية مختزلة، فيقفز ثمن عقار من
عشرة جنيهات إلى عقار آخر يعمل عمله لكن ثمنه هو ثمانمائة (800 جنيه) إلى ثلاثة آلاف فقط لا
غير، ولا يأتى العقار الجديد بنفس النتيجة أو قد يأتى بنفس النتيجة مع فارق السعر، والطبيب الذى
يساهم فى هذا التوجه يشارك فى جريمة ليست مجرمة، وقس على ذلك حين يتم التخويف من مخاطر
الأجهزة القديمة الناجحة لدرجة تجريم استعمالها، ليقفز ثمن الجهاز، "القانونى" الأحدث - باتفاق بين
الشركات وبعضها - إلى ما يدور حول المائة ألف جنيه، فى حين أن ثمن مكوناته لا تزيد عن بضع
مئات من الجنيهات مثلا.

هذه الجرائم المبرأة من العقاب، والتى تسهلها وتبررها نصوص قانونية تحت مزاعم شبه علمية هي
أخطر وأبشع من جريمة فردية تقع تحت طائلة القانون.

أصول مستويات المحاسبة

إذا سمح لك القانون بحدود معينة تتحرك داخلها وترضى بها، أو تضطر إلى الالتزام بمداها، فعليك
أن تعرف أنها ليست هي غاية الحدود التى عليك أن تقف عندها، أمام نفسك، وأمام ربك، الآن، أو فيما
بعد، إن أردت أن تغامر باستلهم النص مباشرة، فثمة آيات بينات كثيرة تعلن بوضوح أن المسألة ليست
هى كما تظهرها نصوص القوانين أو الأحكام الشرعية الرسمية. إن حسابك الحقيقى (كما قال الشيخ
الجنىدى فى اللص والكلاب) هو حسابك لنفسك، وأمام الله، وليس بالمادة كذا من القانون الفلانى، أو
الفقرة كيت، من المرجع العلانى، حتى لو كان هذا المرجع هو تفسير التفسير، أو فتوى الرسميين.
اكتشفت شخصا أن ثمة مستويات ثلاثة عليك أن تتذكرها، هى موجودة فى معظم الأديان غالبا، لكننى
أستشهد بدينى الذى أتعرف عليه مجددا وباستمرار. (طبعا يوجد غيرها لكننى أكتفى بها)، هاك مجرد
عناوينها:

“ (1) اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا.”

“ وكلهم آتية يوم القيامة فردا”

أنت قاضى نفسك، ليس لك محام يتلاعب بالحجج والإجراءات ، ثم إن المحامين سوف يكونون

مشغولين بقضاياهم الخاصة "لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ."

“ (2) بل الإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره”

ولن يعفيك أن يكون عندك عذر قانوني أو تفسيري (لنص مقدس)، فكل التفسير قد تكون من باب المعاذير التي إذا أقيمتها لتخفي جريمتك الحقيقية، فستلقى في وجهك أمام الله، بل ستكشفها بصيرتك أنت بنفسك.

“ (3) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كَرِهْنَا لَنَكْفُرَنَّهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا” ..

إن الذين أفتوا لك أية فتوى، (أكرر أية فتوى دينية أو علمية) بالتحريم أو التحريم، لهم الحق أن يتبرؤوا منك إن كنت قد اتبعتهم دون إعمال رأي، أو تحمل مسؤولية.

الورطة والبدائية الفردية

لأول وهلة، تبدو المسألة كما أوضحناها هنا حتى الآن، أنها قد تسببت حين يصبح كل واحد قاضي نفسه، فتسيح الأمور، ولا يكسب في هذه الحال إلا الأخبث والأقوى، هذا تنبيه طيب وحقيقي، ومع ذلك فلا مفر من التمسك - ولو من حيث المبدأ - بكل ما جاء في المقال. قد نُضطر ونحن نحسبها بالعقل والممكن أن نكتفي مرحليا بالتحريم الرسمي، والتحريم السلطوي التفسيري الاحتكاري، هذا على المستوى العام، الذي لا بد سوف يتغير ويجد حولا أقدر وأعدل مع تطور الوعي البشري أفرادا وجماعات، لكن هذا لا يعفى أي واحد منا من مسؤوليته الفردية المطلقة، هي مسؤولية كل واحد على حدة، خاصة وأننا لن نحاسب (هنا أو هناك) جماعات، أو دولاً أو جنسيات، أو بالتوكيل الجماعي الرسمي في الشهر العقاري، وإنما الحياة بالنسبة لكل منا في البداية والنهاية هي مسؤولية كل واحد فرض عين واحد واحدا، “وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا”.

ما العمل؟

لنتذكر أولاً أن النمل والنحل والسحالي والفردة لم ينقرضوا بعد، برغم أننا نزعم أننا تطورنا منهم.

لا بد أن سبب بقائهم، هو تنظيم لمسألتي التحريم والتحرير بغير قانون مكتوب، أليس كذلك؟ وما دما نزعم أننا أرقى منهم - والله أعلم - فلا بد ونحن ننظم حياتنا بما هو مكتوب، أن نتحمل مسؤولية ما هو ليس مكتوباً، هذه واحدة، الثانية - حتى لو كررنا - هي مسألة أن علينا أن نتذكر طول الوقت أن تنظيم الدولة شيء، وتنظيم الذات شيء آخر، صحيح أنه إذا كان نظام دولة ما هو أقرب إلى العدل، وأحرص على تنمية الفطرة، بالإبداع والاختلاف والجدل، فإن ذلك سوف يسهل مهمة كل منا أن يكتشف فطرته، وأن يحافظ عليها في مواجهة أي تشويه أو تهريب أو فتوى أو تبرير، لكن: حتى وإن افترق نظام الدولة إلى هذين البعدين: العدل، و فرص تنمية الفطرة، فعلى كل واحد أن يجتهد في موقعه، لأنه سيحاسب نفسه الآن، وغدا إذ يلقاه، فرداً، بلا معاذير، ولا محام، وسوف يتخلى عنه من أفتى له مهما بلغت مرتبته، فقد لا يكون إلا ”رؤوف علوان“ في عالم ”سعيد مهران”.

محكات ليست مثالية

هل ثم محكات لتقييم المحاسبة الذاتية، وقياس الفطرة النقية؟

طبعاً توجد محكات ومقاييس، لا يتسع لها هذا المقام ولا هذا المقال، وسوف أكتفي بمجرد تعداد علامات قد تبدو مثالية، وهي أبعد ما تكون عن ذلك، وهاكم بعض عناوين ما خطر لي:

المحكات الأبقى والأبقى

نفع الناس وحساب النفس:

والمنطق السليم، ثم المنطق الخاص، ثم كلاهما، والجدل بينهما،

والحفاظ على القدرة على الدهشة،

والتمتع بالجمال، والقدرة على تجميل القبيح،

إن حسابك الحقيقي (كما قال الشيخ الجنيدى فى اللص والكلاب) هو حسابك لنفسك، وأمام الله، وليس بالمادة كذا من القانون العلماني، أو الفترة كنية، من المرجح العلاني

“ (1) اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً.”

“وكلهم آتية يوم القيامة فرداً” أنته قاضي نفسك، ليس لك محام يتلاعب بالحجج والإجراءات

“ (2) بل الإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره” ولن يعفيك أن يكون عندك عذر قانوني أو تفسيري (لنص مقدس)، فكل التفسير قد تكون من باب المعاذير التي إذا أقيمتها لتخفي جريمتك الحقيقية، فستلقى في وجهك أمام الله، بل ستكشفها بصيرتك أنت بنفسك.

إن الذين أفتوا لك أية فتوى، (أكرر أية فتوى دينية أو علمية) بالتحريم أو التحريم، لهم الحق أن يتبرؤوا منك إن كنت قد اتبعتهم دون إعمال رأي، أو تحمل مسؤولية.

وإنما الحياة بالنسبة لكل منا في البداية والنهاية هي مسؤولية كل واحد فرض عين واحد واحدا، “وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا”.

حتى وإن افترق نظام الدولة إلى هذين البعدين: العدل، و فرص تنمية الفطرة، فعلى كل واحد أن يجتهد في موقعه، لأنه سيحاسب نفسه الآن، وغدا إذ يلقاه، فرداً، بلا معاذير، ولا محام، وسوف يتخلى عنه من أفتى له مهما بلغت مرتبته

المحكات الأبقى والأبقى

نفع الناس وحساب النفس:

والمنطق السليم، ثم المنطق

الخاص، ثم كلاهما، والجدل
بينهما،
والحفاظ على القدرة على
الدخلة،
والتمتع بالجمال، والقدرة على
تجميل القبيح

الحركة المتجددة، وإعادة
التشكيل ما أمكن ذلك
(الإبداع)،
والتواجد مع "آخر" حقيقي،
والقدرة على تركه لتعود
إليه، أو لا تعود،
البدء من جديد مهما كان
الزمن أو تعلق الخطأ،
والعدل حتى لو بدا مستحيلا،
وحمل هم الناس (ناسك وغير
ناسك) حتى آخر الدنيا، وآخر
الزمان

النوم القوي المبدع مع كل
أنواع الأحلام الممكنة،
والجنس الحوار التكامل، بلا
محجز أو استعمال أو صفقات،
والفرحة بالنفس آخر النهار،
وأول الليل، ثم أول النهار، وآخر
الليل،

والحركة المتجددة، وإعادة التشكيل ما أمكن ذلك (الإبداع)،
والتواجد مع "آخر" حقيقي،
والقدرة على تركه لتعود إليه، أو لا تعود،
والبدء من جديد مهما كان الزمن أو تعلق الخطأ،
والعدل حتى لو بدا مستحيلا،

وحمل هم الناس (ناسك وغير ناسك) حتى آخر الدنيا، وآخر الزمان (دون نعابة أو خطابة أو
بطولة)،

والنوم القوي المبدع مع كل أنواع الأحلام الممكنة،
والجنس الحوار التكامل، بلا عجز أو استعمال أو صفقات،
والفرحة بالنفس آخر النهار، وأول الليل، ثم أول النهار، وآخر الليل،
والألم الحقيقي لك ولهم دون محو الفرحة ومعها.

هذا يكفي حاليا،

.....

.....

والحق سبحانه وتعالى هو المستعان على ما يصفون.

- [1]المقتطف من كتاب "ترييف الوعي البشرى، وإنذارات الانقراض" بعض فكر يحيى
الرخاوى (الطبعة الأولى 2019) وصورته الأولى كانت مقالات في (مجلة سطور) (من يوليو 1997
إلى يوليو 2006 + 1) والكتاب متاح في مكتبة الأنجلو المصرية وفي منفذ مستشفى دار المقطم
للصحة النفسية شارع 10، وفي مؤسسة الرخاوى: 24 شارع 18 مدينة المقطم، و يوجد بموقع المؤلف
www.rakhawy.net وهذا هو الرابط
- [2]مجلة سطور: (عدد مارس 2006)

إرتباط لحامل النص:

<https://rakhawy.net/%d9%85%d9%86-%d9%83%d8%aa%d8%a7%d8%a8-%d8%aa%d8%b2%d9%8a%d9%8a%d9%81-%d8%a7%d9%84%d9%88%d8%b9%d9%89-%d8%a7%d9%84%d8%a8%d8%b4%d8%b1%d9%89%d8%8c-%d9%88%d8%a5%d9%86%d8%b0%d8%a7%d8%b1%d8%a7%d8%aa-19/>

إرتباط لحامل النص مع المقتطفات:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhaw/RakD250721.pdf>

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحن تعاون عربي رقبيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2021 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار التاسع)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 18 على الوجود

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

اشتركاكته العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3